الأفنان في علوم القرءان

الباب الأول: المبادي العشرة لهذا الفن

قال الصبان:

إن مَبَادِي كلِّ فنٍ عَشَرَه .. الحدُ و الموضوعُ ثمَّ الثَّمَرَه
وفَضْلُهُ ونِسْبَةٌ والواضِعْ .. والاسمُ الاستمدادُ حكمُ الشارعْ
مسائلُ والبعضُ بالبعضِ اكْتَفَى .. ومَنْ دَرَى الجميعَ حاز الشَّرَفا

الحد ويتضمن تعريفه الإصطلاحي والمركب	**التعريف المركب:** علوم: مفرد علم وهو إدراك الشيء على ما هو عليه إدراكًا جازمًا. القرءان: هو كلام الله المعجز المنزل على رسوله المتعبد بتلاوته المنقول إلينا بالتواتر
	التعريف الإصطلاحي: علم يضم أبحاثا كلية تتصل بالقرآن الكريم
الموضوع	مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من جوانب مختلفة تنزيله وترتيله وتدوينه وتأويله وتدليله. تنزيل القرءان: كدراسة الوحي ومكان النزول، ووقت النزول، وأسبابه، وأول ما نزل وآخر ما نزل. ترتيله: كالأحرف السبعة والتجويد والوقف والإبتداء. تدوينه: ترتيب السور، وعد الآيات، ورسم المصحف، وعلم المناسبات. تأويله: كالناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه. تدليله: كإعجازه وهدايته.
الثمرة	يعين على فهم القرآن، واستنباط الأحكام والآداب.
	يجعل من تمرس فيه وفهمه وعرفه، مؤهلا للتفسير.
	يعرف الدارس له بتاريخ القرآن الكريم، من حيث مبدأ نزوله، ومدة هذا النزول، وطريقه هذا النزول، وأماكن النزول، وأوقات النزول، والأحداث التي نزل فيها القرآن
	التسلح للوقاية من شبهات المستشرقين والملحدين، مع الإجابة

	عن كثير من الإشكالات والشكوك.
	يعتبر ميزان يضبط لدارسه فهم القرءان، وينمي لدية ملكة تمكنه من إدراك مواطن العِبر في هذا القرآن، والحجج، والأحكام فيعرف صحيح التفسير من فاسده.
	يعتبر ميزان يضبط فهم القرءان.
نسبته	هو أحد العلوم الشرعية المتعلقة بالقرآن الكريم.
فضله	من أشرف العلوم على الإطلاق، لتعلقه بكتاب الله، ومن درسه وعمل بما فيه يدخل في الخيرية كما في حديث عثمان بن عفان قال رسول الله {خيرُكُم مَن تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ}[1]
الواضع	تأخر التأليف في هذا العلم مقارنة بغيره من العلوم، يقول السيوطي -رحمه الله: "ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتابًا في أنواع علوم القرآن، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث"، وهناك أقوال كثيرة جدًّا في أول من أَلف في هذا العلم وأول من ألف في علوم القرآن هو الإمام محمد بن خلف المرزبان رحمه الله المتوفى سنة 903 هـ واسم كتابه الحاوي في علوم القرآن ثم تلاه عدة مؤلفات إلى أن أتى الإمام السيوطي وألف كتابه الإتقان في علوم القرآن جمع فيه كل ما كتب قبله وزاد عليه ورتبه أحسن ترتيب وكل من كتب في علوم القرآن بعد السيوطي فهو عالة على كتابه ومن أحسن ما كتب في علوم القرآن بعد السيوطي كتاب مناهل العرفان في علوم القرآن للشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني.
الإسم	علوم القرآن ويسمى أيضاً بأصول التفسير.
الإستمداد	من القرآن والسنة وعمل الصحابة.
حكم الشارع	فرض كفاية اذا قام به طائفة من المسلمين سقط الإثم عن الباقين.
مسائله	أي موضوعاته.

الباب الثاني: الوحي

وهذا يتضمن ضوابط:

الضابط الأول: تعريف الوحي.

الضابط الثاني: كيفية الوحي.

---

[1] صحيح الترمذي (2907).

الضابط الثالث: مراتب الوحي.

الضابط الأول: تعريف الوحي

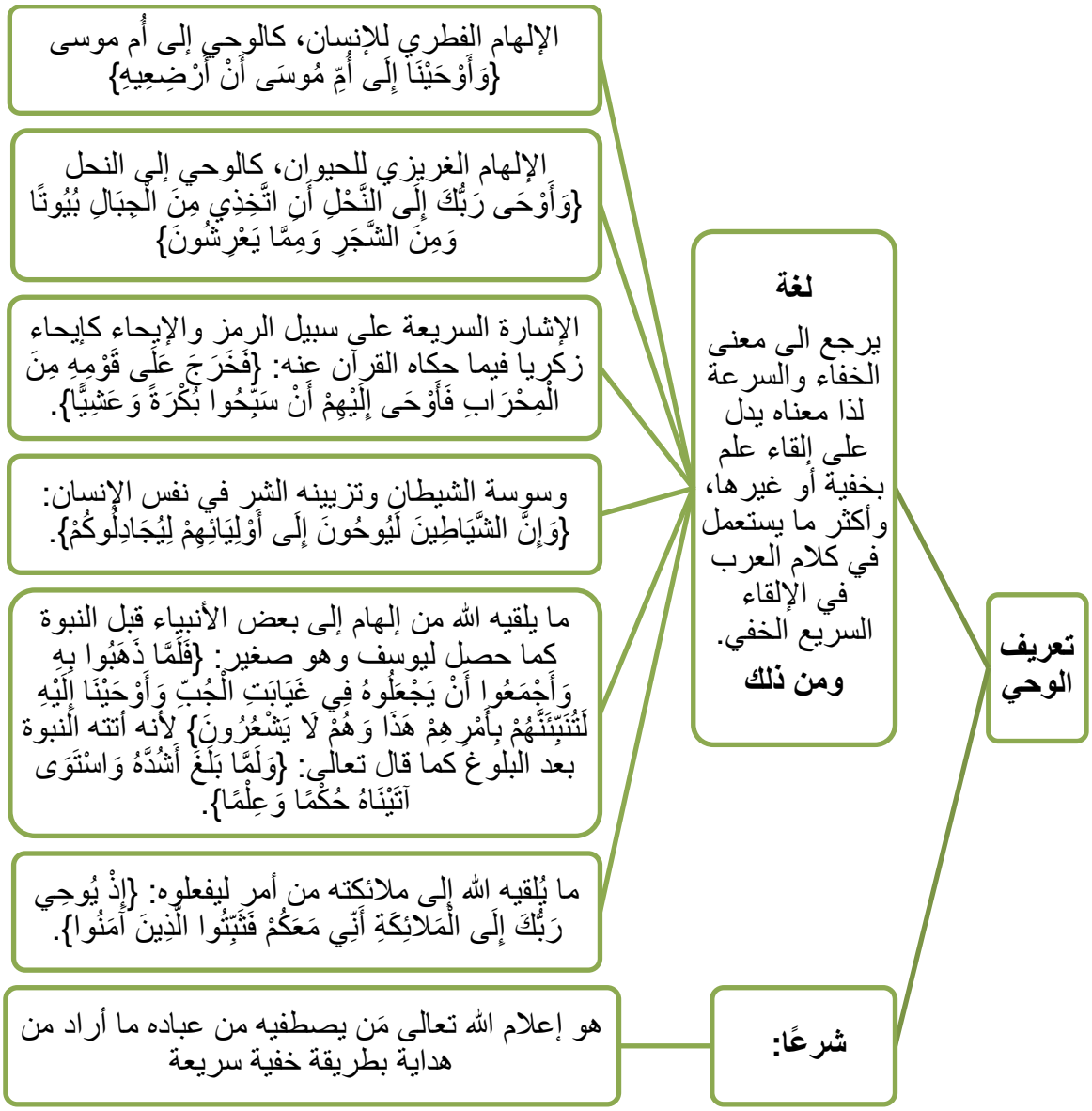

الضابط الثاني: كيفية الوحي.

وهو ثلاثة أقسام:

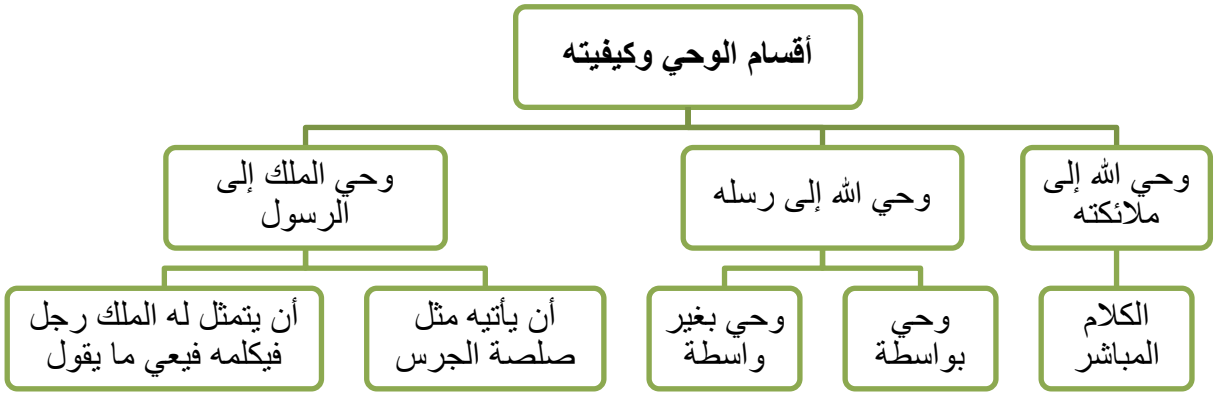

أولًا: وحي الله إلى ملائكته:

وذلك بأن الله يُكَلِّمُ الملائكة دون واسطة بكلام يفهمونه.
الدليل على ذلك: عن النوَّاس بن سمعان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي، أخذت السموات منه رجفة -أو قال: رعدة- شديدة خوفًا من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهل السموات صعقوا وخرُّوا لله سجَّدًا، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيُكَلِّمُهُ الله من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل على الملائكة، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا يا جبريل؟ فيقول جبريل: "قال الحق وهو العلي الكبير" فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل" أخذت السموات منه رجفة) خوفاً من الله عز وجل) لأنه سبحانه وتعالى عظيم فكُل شيء يخافه حتى السموات التي ليس فيها حياة وليس فيها روح تخاف الله عز وجل، وهذا دليل على عظم الوحي. قوله: صُعِقُوا وخرُّوا لله سُجَّدًا الصُّعوق هو الغشي، ومعه السُّجود عن ابن مسعودٍ قال: رأى رسولُ الله ﷺ جبريلَ في صورته وله ستمئة جناح، كل جناحٍ منها قد سدَّ الأفق، يسقط من جناحه من التَّهاويل والدر والياقوت ما الله به عليم فإذا كان هذا عظم هذه المخلوقات، فخالقها أعظم وأجلّ وأكبر، فكيف يُسوَّى به غيره في العبادة: دعاءً وخوفًا ورجاءً وتوكلًا وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها غيره؟ الحق لأن من عادته سبحانه وتعالى ألا يقول إلا الحق.

العلي الكبير أي له العلو المطلق وصغر دون جلاله كل كبير

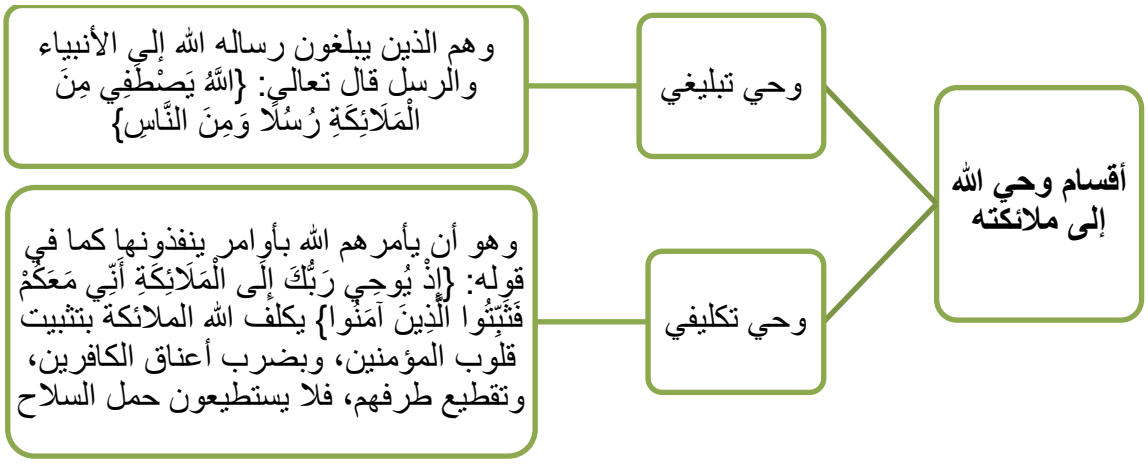

ثانيًا: وحي الله إلى رسله:

وهو مراتب:

قال تعالى: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ}

الرؤيا المنامية	عن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بُدِئَ به -صلى الله عليه وسلم- الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح" وكان ذلك تهيئة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- حتى ينزل عليه الوحي يقظة، ومدة الرؤية المنامية للنبي قبل الوحي ستة أشهر، واستمرت بعده، وقال النبي: {الرؤية الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة} فالرؤيا الصادقة قبل النبوةكانت ستة أشهر، وفترة النبوة ثلاثة وعشرين سنة، ونسبة السته الى ثلاثة وعشرين تساوي جزء إلى سته وأربعين. وليس في القرآن شيء نزل منامًا لأنه نزل جميعه يقظة، واختلف العلماء في سورة الكوثر لاختلافهم في فهم الحديث، والصحيح أن الذي كان منامًا هو البشارة بالكوثر، أما السورة نزلت يقظة.

	والدليل: ما رواه مسلم عن أنس بن مالك قال: {أغفى رسولُ اللَّهِ إغفاءةً ، فرفعَ رأسَهُ مبتَسِمًا إمَّا قالَ لَهُم وإمَّا قالوا لهُ لِمَ ضحِكْتَ فقالَ رسولُ اللَّهِ إنَّهُ أُنْزِلَت عليَّ آنفًا سورةٌ فقرأَ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ) الكوثر : 1 حتَّى ختمَها ثم قالَ لهم : هَل تَدرونَ ما الكَوثرُ؟ قالوا اللَّهُ ورسولُهُ أعلَمُ. قالَ هوَ نَهْرٌ أعطانيهِ ربِّي عزَّ وجلَّ في الجنَّةِ علَيهِ خيرٌ كثيرٌ ترِدُ علَيهِ أمَّتي يومَ القيامةِ آنيتُهُ عددُ الكواكِبِ يُختَلَجُ العَبدُ منهم فأقولُ يا ربِّ إنَّهُ مِن أمَّتي فيقالُ لي إنَّكَ لا تَدري ما أحدَثوا بَعدَكَ} فالإغفاءة ليست نومة، ولايتصور أن يجلس النبي بين أصحابه يحدثهم ثم ينام بين أظهرهم. وقد حصلت الرؤيا الصادقة لغير النبي من الأنبياء قصة إبراهيم من رؤيا ذبحه لولده إسماعيل: {فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ, فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ, فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ, وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ, قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ, إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ, وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ, وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ, سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ} ولو لم تكن هذه الرؤيا وحيًا يجب اتباعه لما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده لولا أن منَّ الله عليه بالفداء. مسألة: الرؤيا الصالحة ليست خاصة بالرسل، فهي باقية للمؤمنين، وتكون من المبشرات وليست وحيًا، قال عليه الصلاة والسلام: "انقطع الوحي وبقيت المبشرات، رؤيا المؤمن"، فلا يجوز للإنسان أن يتعبد لله بعبادة بناء على رؤيا رآها، وهذه العبادة لم يشرعها الله.
الكلام الإلهي من وراء حجاب بدون واسطة يقظة	وكلم الله ثلاثة من الأنبياء: *آدم كما في قوله: { وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ}. *موسى عليه السلام كما في قوله {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ}، وقوله {وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا}. *رسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم- يقظة في ليلة الإسراء والمعراج، وكذلك كلمه في المنام كما في حديث اختصام الملأ الأعلى قال النبي: { أتاني اللَّيلةَ ربِّي تبارَكَ وتعالى في أحسَنِ

	صورةٍ، قالَ ابن عباس: أحسبُهُ قال في المَنامِ فقالَ: يا محمَّدُ هل تدري فيمَ يختصمُ الملأُ الأعلى؟}. وفي صحيح النسائي عن ابن مسعود قال: { لما أُسْرِيَ برسولِ اللهِ ، انتهى به إلى سِدْرَةِ المُنْتَهى ؛ وهي في السماءِ السادسةِ ، وإليها يَنْتَهِي ما عُرِجَ به مِن تحتِها ، وإليها يَنْتَهِي ما أُهْبِطَ به مِن فوقِها ، حتى يُقْبَضَ منها . قال : إذ يغشى السدرة ما يغشى قال : فراشٌ مِن ذهبٍ . فأُعْطِيَ ثلاثًا : الصلواتُ الخمسُ ، وخواتيمُ سورةِ البقرةِ ، ويُغْفَرُ لمَن مات مِن أمتِه لا يُشْرِكُ باللهِ شيئًا المُقْحِمَاتُ} و المُقْحِمَاتُ أي كبائرِ الذُّنوبِ؛ وسُمِّيَتِ المُقْحِمَاتِ؛ لأنَّها تُقْحِمُ صاحِبَها في النَّارِ. فعلى هذا يكون خواتيم سورة البقرة لها مزية عن باقي القرءان، لأن الله تكلم للنبي بها مباشرة بدون واسطة.
الوحي بواسطة الملك وهي حالتين	الحالة الأولى: وهي أشد على الرسول، أن يأتيه له صوت عظيم مهيب مثل صلصلة الجرس، وسبب هذه الشدة أن التقاء الملك في حالته الملكية، والرسول البشري في حالته البشرية وكلٌ له صفاته التي خلقه الله بها، فلابد من حصول تغير في طبيعة النبي ليصبح في حالة تؤهله للتلقي والقبول والانتباه فتُهَيَّأ النفس بكل قواها وتستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه. وروت عائشة رضي الله عنها ما كان يصيب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من شدة فقالت: "ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا"، وعرق النبي أطيب من رائحة المسك. وكان النبي يثقل جسده جدًا، وإذا أتاه الوحي وهو على ناقته تبرك في الأرض، وقال الصحابي الجليل زيد بن ثابت: { أَنْزَلَ اللَّهُ علَى رَسولِهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم وفَخِذُهُ علَى فَخِذِي، فَثَقُلَتْ عَلَيَّ حتَّى خِفْتُ أنْ تَرُضَّ فَخِذِي }[2] أي تنخلع من مكانها. وقد يكون هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة المشار إليه في الحديث: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان" وقد يكون صوت المَلَكِ نفسه في أول سماع الرسول له.
	والحالة الثانية: أن يتمثل له المَلَكُ رجلًا ويأتيه في صورة بشر، وهذه الحالة أخف من سابقتها، حيث يكون التغير في طبيعة

[2] صحيح البخاري (4592).

	الملك فيحصل التناسب بين المتكلم والسامع، ويأنس رسول النبوَّة عند سماعه من رسول الوحي، ويطمئن إليه اطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان. رُوِيَ عن عائشة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "يا رسول الله.. كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله, صلى الله عليه وسلم: "أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشد عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي المَلَكُ رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول" وهذا قد يحصل لغير الأنبياء، فقد حصل لمريم أم عيسى بأن أرسل الله إليها جبريل فقال تعالى: { فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا} [مريم: 17].
النفث في الرُّوع	ذُكِرَ في قول الرسول, صلى الله عليه وسلم: "إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجمِلوا في الطلب" وروح القدس المراد به جبريل، وسمي بذلك لأنه يأتي بما فيه حياة القلوب. النفث: أي التفل من غير ريق. الروع أي القلب. **واختلف العلماء في كيفية النفث:** القول الأول: أنه إلقاء مباشر في قلب النبي، وليس عن طريق التكليم والسماع، فيكون بمعنى الإلهام بأن يجد النبي في نفسه معنى من المعاني في صدره. القول الثاني: أن هذه الحالة قد لاتكون مستقله بذاتها، بل هي عبارة عن الوحي بواسطة الملك سواء كان صلصلة الجرس أو بالصورة البشرية.